جماليات السرد

هو الكيفية التي تُروى بها القصة وهو كذلك طريقة عرض الحوادث في القصة، أو هو نقل حادثة من صورتها الواقعة في الواقع إلى صورة لغوية. ويذكر (شولز وكيلوج) في كتابهما طبيعة القص أننا نعني بالسرد هو كل تلك الأعمال الأدبية التي تتميز بخاصيتين الاولى وجود قصة أو حكاية . الثانية توفر شخص يقص لنا أو يخبرنا بهذه القصة ويرويها . وهما يستثنيان من تعريفهما للسرد الدراما المسرحية باعتبار عدم وجود راو لها ولأنها تؤدي مباشرة ، ويقصران السرد على وجود راو يحكي ويتكلم ويحدثنا عن حادثة أو فعل .

فالسرد لا يتحقق دون التواصل بين ال (أنا) و (الآخر) أو الآخرين . وقد يكون شفويا كالكلام الذي يدور بين الناس خلال الحديث أو الحوار وهو لا يحتاج إلى واسطة لأنه يتم مباشرة بين طرفين متكلم ومستمع . وقد يكون مكتوبا. والسرد هنا يتم بواسطة الكتاب أو الورق وليس شرطا فيه حضور طرفي السرد .

وهناك من السرد ما يعرف بالسرد الصامت : وهو الذي يتم بين الذات والذات حين يناجي الإنسان نفسه أو يحاورها ، وقد عرفت العرب السرد الشفوي في الجاهلية فكان لكل شاعر راوية ، وكذلك في صدر الإسلام نقل رواة الحديث أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم مع وجود الكتابة عرف السرد المكتوب.

والسرد مرتبط بالشخصية فهي التي تلونه وتكسبه مضمونه الزمني ، ولو اختلفت الشخصية من القصة أو الرواية لأصبحت أقرب إلى جنس المقالة . والسرد القصصي أحد المقومات الأساسية لفهم الواقع . وهو لا يقدم لنا الحكاية حسب الترتيب الذي وردت فيه في الواقع ، وإنما يعيد ترتيب هذه الأحداث بطريقة تتوخى الجمال .

ويتشكل النص السردى من قصة تتضمن الأحداث التي تسهم في عملية السرد والشخصيات والسياق والتي تسهم بصورة كبيرة في عملية السرد ، ومن حكي يتكون من سرد وتركيز حول حدث ما وزمن .

والسردي له زمانان متقاطعان : أفقي يمثل التغييرات العارضة من تذكر واسترجاع الماضي واستشراف المستقبل. وعمودي يتعلق بوتيرة سرد الأحداث من سرعة وبطء وإسهاب واختزال وهو لا يصف الأحداث فقط ولكنه يتلوها ويحاكيها ويتحدث عنها . وهو لا يبدأ إلا بعد أن يكون كل شيء قد أصبح ماضيا وانتهى, ولذا فإنه يتم في الأغلب باستخدام الفعل الماضي وإن كان الراوي يحاول أن يشعر القارئ أو السامع بأن الأحداث تحدث الآن .

وتنطلق نظرية السرد في تحديد مكونات النص السردى من المقولة التالية : كل نص سردي ينهض على أو يتكون من عنصرين متكاملين متداخلين هما الحكاية والخطاب .

والحكاية تتجلى في المتن الموضوعي من أفعال ووقائع وشخصيات و زمان ومكان, أما الخطاب فيتمثل في الطريقة التي يتم تقديم ذلك المتن عن طريقها إلى المتلقي . والسرد مهما تكن وسائطه من الكلمات أو الفيلم السينمائي أو الصورة الهزلية فهو يجذب اهتمام جمهوره عن طريق إثارة أسئلة في أذهانهم وتأخير الإجابة عليها .

عناصر السرد :

لا يمكن أن تخيل عملية السرد دون منشئ أو سارد ودون مستمع أو قارئ والذي ينشئ النص هو المؤلف أو الضمير الكلي أو الشخصية الروائية . و السارد هو صاحب الصوت الذي نسمعه في الرواية ويتكفل بتقديم الحكاية إلى مخاطب سردي أو قارئ مفترض .

وقد حدد (رولان بارت) ثلاثة تصورات المانح السرد :

الأول : بيئه شخص (بالمعنى النفسي الكامل للكلمة) وهذا الشخص يحمل اسما بعينه ، إنه هو المؤلف وهو الذي يمسك القلم ليكتب قصة ..

الثاني : السارد الذي هو ضرب من ضروب الوعي الكلي ، ويبدو في الظاهر لا شخصيا ، وهو أشبه بالآله يروي من وجهة نظر عليا ، وهو داخلي وخارجي في نفس الوقت ..

الثالث : السارد الذي لا يعلم أكثر مما تعرفه الشخصيات . فكل شيء يجري وكأن كل شخصية تتناوب السرد مع غيرها من الشخصيات .

وللسرد عناصر وأشكال مختلفة منها : المشهد والعرض ، ومحاكاة أفعال الشخصيات وكلماتها بطريقة مباشرة (درامية) ، واقتباس الأفكار والحوار الداخلي .

ولدى نقاد الرواية المعاصرين نجد ثلاثة أضرب من الزمن تتلبس بالحدث السردى وتلازمه ملازمة مطلقة وهي كالتالي :

1- زمن الحكاية أو زمن المحكي .

2- زمن الكتابة : ويتصل به زمن السرد مثل سرد حكاية شعبية ما .

3- زمن القراءة : وهو الزمن الذي يصاحب القاري وهو يقرأ العمل السردى .

السرد السينمائي (التلفزيوني) وطبيعته :

كما أن السينما والتلفزيون هما امتداد المسرح الطبيعي فإن السرد السينمائي والتلفزيوني يجد أصوله كذلك في السرد المسرحي حتى أننا نجد هناك من ذهب إلى أبعد من هذا وهو الكاتب (هونزل) والذي رأى أن المسرح اشتق من السرد ، والمسرح اليوناني كما يذكر أرسطو خرج من عباءة الأغاني (الديثرمبية) والإله (ديوفيزوس) تلك التي كانت تؤدي سردا بالتبادل بين الكورس وقائد الكورس ، وحينما أضاف (اسخيلوس) شخصية إضافية ليصبح لدينا ممثلان على المسرح فإنه كان يؤكد (الفعل) على حساب (السرد) ومع ذلك فقد ظل الكورس جزءا أساسيا في الدراما اليونانية وظل محتفظا بالملامح الواضحة التي كانت له في الأغاني (الديثرامبية) .

ولكن أهم ما ميز السرد المسرحي عن السرد الروائي هو أن السرد الروائي تنظم زمني دال لأحداث ماضية (آنذاك ، وهناك) ولكن السرد المسرحي (يعرض) هذه الأحداث أمام المتفرج كأنها تحدث (الآن ، هنا) .

وعندما جاءت السينما والتلفزيون صارت تقدم شكلا جديدا للسرد القصصي ووصلت بوسائل إبهارها إلى أكبر عدد من المتفرجين وأصبح السرد السينمائي بديلا عن السرد الروائي لدى غالبية الطبقات في مجتمعات القرن العشرين .

ويرجع الفضل في ترسيخ قواعد لغة السرد السينمائي إلى المخرج (ديفيد وارنر جريفيث) حيث وضع أسس لغة السرد الروائي في السينما كما نعرفها اليوم ، وحول الوسيط الفني الجديد من كونه مجرد تسلية لا علاقة لها بالجماليات إلى شكل فني مكتمل النضج .

ويعتبر ديفيد وارك جريفيث بأن السرد وهو خطوة ضرورية وقاعدة أساسية لصياغة النص الفيلمي وحجر الزاوية في تكوين المعاني والتحكم فيها. ولا يمكن استبعاده من النص الفيلمي على الإطلاق حتى ولو بدا مملا في بعض الأحيان .

السرد السينمائي كما عرفه (كريستان ميتينز) هو مجموع الوقائع والأحداث (Events) والتي ترتب في نظام أو توال (سلسلة) من المشاهد . أما (وليم كادبري و اليلانديوج) فيقدمان تعريفا أكثر شمولية للسرد الذي ينهض على ما هو مسرود المتلفظ به وما لا ينطق به . فعالم السرد لديهما لا ينحصر فيما هو حاضر ومثبت فقط فوق الشاشة من إشارات تحيل إلى معنى ، ولكنها تتسع لما هو غير حاضر وغير مثبت داخل النص ، حيث يتحدد المعنى من خلال عمليات الحضور والغياب بإشارات وعلامات تعبيرية.

وفي السرد الفيلمي يكون تصميم المشاهد مرتبنا ومتوافقا مع منظور رؤية شخصية أو بطل ما، أو تعبر من خلال الصورة السينمائية عن وجهة نظر الشخصية ما ، والسرد يكون مرتبنا براو أو رواة يرقبون الحدث دون تدخل ، أو يشاركون فيه مع بقية الشخصيات .

فالسرد هو بث الصورة بواسطة اللغة وتحويل ذلك إلى إنجاز سردي ، فمنذ اللحظات الأولى لنشوء الفن السينمائي بدا جليا وواضحا علاقة هذا الفن الجديد بالرواية حيث كان على هذا الفن الجديد أن يستفيد من المنجز الروائي الغزير لتكوين بنائه السردى الخاص ، وفي نفس الوقت صار الفن الروائي يقدم أدوات وأساليب فنية ذات قوة تأثير خاصة تستثير الإعجاب والتأمل خاصة بعد أن أصبح هذا الفن الجديد يغزو الجمهور بقوة وفعالية . وظهرت حينها ما عرفت بظاهرة الاقتباس أو الأفلمة وإن كان أبرز وجوه الالتقاء بين كلا الفنين أنهما فن زمني يشكل السرد أدواته الرئيسية وإن اختلفت لغتهما الإشارية ، حيث يعتمد الفن الروائي على اللغة المكتوبة ، وأما الفن السينمائي فيعتمد على اللغة السمعية البصرية والتي تخضع لبناء حركي - صوتي يقوم استثمار إمكانات ثلاثة للتجسيد الحركي : حركة الممثلين والعناصر الأخرى داخل الكادر ، حركة الكاميرا ، شكل التوليف المعتمد (المونتاج) للقطات ، بالتوافق أو التضاد مع مفردات الشريط الصوتي وعناصره .

وقد اختلفت الآراء حول حق الفنان في استخدام نص روائي أو أي عمل أدب آخر والتصرف فيه بطريقة عرض جديدة ، ولكن مهما توافق الفنان في الرواية والسينما أو اختلفا أو كيفما استفاد أحدهما من الآخر ، فإن السرد سيظل هو الوثائق القوي الذي يشد فني الرواية والسينما أحدهما إلى الآخر لأنه الناظم لعمل كل منهما .